

المشرق

العادات البابلية والاسفار القدسيّة

للاديب يوسف اوفرد احد اعضاء الجمعية الكتابية الاثرية

تحتّى القراء من مقالاتنا السابقة ما افادت الاكتشافات الاثرية الحديثة لتأييد الكتب المنزلة وايضاح بعض مبهماتنا . وقد بلغنا ان الشريين يوتاحون لئس هذه الابحاث فبجنتاهم بأدلة جديدة على ما تحرينا يانه . وهذه المرة نبني قولنا خصوصاً على الدستور الشرعي الجليل الذي توفّق السيد مرغان الى اكتشافه في شوشن اعني شريّة حشوربي المعروف في التوراة (ترك ١١٤ : ١) بأمرافل . وتقم نبذتنا قسمين نبين في اولها ما يوجد من التوافق بين البابليين وبني اسرائيل بخصوص الخواطر الدينية وفي الثاني توافقهما في السن والامور الاجتماعية وذلك منذ عهد حموربي اعني نحو ٢٠٠٠ سنة قبل المسيح وهو دليل لامع على ان ابراهيم الخليل جد الاسرائيليين شرب الله كان اصله من بلاد الكلدان خرج من اور الى حرّان ثم الى فلسطين كما روت الاسفار المقدسة

١ . موافقة الاسفار المقدسة للعادات الاثرية في الدينيات

لا ننكر ان الله ظهر لابراهيم الخليل ومن بعده لاسحاق ابنه وليعقوب حفيده ولموسى كليمه وادعى اليهم بجفانت دينية جليلة اوضح واصدق ممّا كان شأننا من ذلك بين الاشوريين المتعدين للاوثان والساجدين للطواغيت لكن اهل بابل ولشور كانوا حفظوا اكثر من غيرهم بقايا الدين الاصلي الذي كان اورثته نوح لاولاده فلا غرو ان ابراهيم عند خروجه من بلاد الكلدان استفاد ايضاً من هذه المعلومات وافاد بها نسله من بعده . ومن نظر ملياً في الآثار البابلية وعرضها على بعض اقوال التوراة اخذه

العجب من التوافق بينهما

المشرق السنة العاشرة العدد ٨

فمن ذلك اسما. متعدده دالة على اللاهوت اتخذها البابليون لأعلامهم وتجد شبهها في الكتب الكريمة إلا أنها في الاسفار المقدسة مجردة عن آثار الوثنية مخصصة بالاله الحق. فمن هذه الأعلام اسم « بيلتوري » اي البعل هو نوري و « بيلدوري » اي البعل هو حصني و « بيللور » اي البعل الذي أعينه . فمثل هذه المعاني ما يرى في الاسفار المقدسة بتغيير لفظ البعل . قال في الزمير (١: ٢٦) : « الرب نوري . . . الرب حصن حياتي » . وقال ارميا (١٩: ٢٦) : « آيا الرب عزّي وحصني » . وقال ايوب (٢٦: ١٩) « الله الذي أعينه » . ومثله تسمية الاسوريين للبعل « شادي ريو » اي « الجبل الحصين » وقد دعا الاسراييلون الرب « ايل شدي » اي الاله الصخرة يريدون بذلك عزه وجلاله . وورد اسم « سورنيل » واسم « صودي عدنا » بين اعلام العرب في الجاهلية وكلاهما بالمعنى السابق اي الله صخري . ويظهر هذا في الاعلام المركبة من لفظه المبد ويضاف اليها اسم الصنم كعبد نوبعد ملوك وغيره . فهذه الالهام في العبرانية تضاف الى احد اسما. الاله الحقيقي كعبديا وعبديل

ومن اعلام البابليين ما يشير الى اعتقادهم بالاله الاعظم او باله السماء كالأعلام التي أولها اسم « ايلو » وهو الاسم الكريم منها « ايلو رأمي » اي الله رحمني و « ايلو نصير » اي الله نصيري واسما. بمعناها « كايلا رب اربا » و « ايلو ارس » و « ايلو تانيد » وقد سُمي بعضهم « ايلو » اي إلهي موجود ومثله اسم بعض العبرانيين « اليبر » (١ كتاب اخبار الأيام ٧: ٢٦) . وفي كتابة حموربي دعا الله « بل السماء » كما دعا ابراهيم (تك ٣: ٢٤) ربه باله السماء . (١٦٦٦ : ١٦٦٦ : ١٦٦٦) . وقد شاع مثل هذه الاسما. بين الشعوب السامية كالفينيقين والعرب وهي تدل على صفات الاله العظيم

وقد انتسح حموربي كتابه بذكر اسم معبرده مع نعته بالاله الاعلى فدعا « ايلو سيرو » . وهذه الصفة قد وردت في الكتاب المقدس على صورة « ايل عليون » (١١٦ : ١١٦) في سفر التكوين (١٨ : ١٤) وفي النص العبراني لابن سيراخ المكتشف حديثا (٥ : ٤٧) وبما يرويه الكتاب الكريم من تحنن بني اسرائيل وجنوحهم الى عبادة آلهة الامم ما اخبر به صاحب السفر الرابع من لسفار الملوك (٤ : ١٨) ان بني اسرائيل كانوا يقدرون حياة النحاس التي كان اقامها موسى وأنهم كانوا يدعونها تمثشان (١٦٦ : ١٦٦) . ولا غرو ان الاسراييليين لم يكونوا ليقدموا على مثل هذه العبادة لو لم يجدوا في الشعوب المجاورة

لهم كالفينيقين والحثيين ما يحملهم على ذلك . وها قد جاءت الآثار مثبتة لهذا الامر كاشفة للنقاب عن عبادة الحيات بين أولئك الشعوب

ففي سنة ١٨٩٨ نشر الدكتور ورد (D^r Hayes Ward) رسم خاتم حثي يمثل كاهناً او عابداً يقدم التقدمة لحيّة (١) ملتفة حول عصاة او جزرة من حديد عُززت في الارض (انظر صورتها في الشكل ١) . وفي هذا الاثر عينه ترى صورة اخرى ترمز



الشكل ١

الحيّة اي تمثال مشعوت . وفي ذلك دليل على ان رمز الحيّة كان منوطاً بعبادة مشعوت الالهة السامية ذات الفواحش والارجاس التي تبسدها العبرانيون مراراً فثاروا غضب الله عليهم . ومن ثم ترى ان الملك حزقيا أحسن لما كسر صورة الحيّة النحاسية التي كان موسى اقامها في البرية باسم الرب لا يجعلها كصنم يُبدل لتكون فقط كصورة رمزية تشير الى المسيح المصلوب الذي سحق يموت رأس الحيّة الجهنمية

وفي معرض المستشرقين التعمد في باريس سنة ١٨٩٢ شرح السيبو « برجه » المألمة الفرنسي كتابه فينيقية وجددها على نُصب من حجر وفوق الكتابة تصاور ترى في وسطها حيتان ما يدل على تبسّد الفينيقين للحيّة (٢) . وهذا الاثر اليوم مصون في متحف اللوفر (اطلب الشكل ٢ ص ٣١٠)

ومن المعروف ان اليونان كانوا اتخذوا كرمز لمطارد عصاة حولها حيتان ويدعون هذا الرمز كادومة (Caducée) . ولا تعرض هنا لبيان العلاقة بين هذا الرمز وبين عبادة الحيات في البهد القديم وفي ما قلنا كناية لتركبة الملك حزقيا في كسره للحيّة النحاسية ليستأصل بذلك كل عبادة باطلة من بني اسرائيل كما امر سبحانه وتعالى

(١) نحن في ريب عن هوية هذه الصورة أهمي حقيقة حيّة ام لا . فان رأس الحيوان المصوّر اية برأس ايل (المشرق)

(٢) لا ينكر تبسّد الفينيقين للحيّة بيد أن وجودها في هذه الصورة ليس بكتاب للدلالة على ذلك لأن الحيّة كثيراً ما يُراد بها علامة رمزية دينية (المشرق)

٢ الآثار الاثرية وعلاقتها مع نومايس موسى



الشكل ٢

فان انتقلنا الآن الى العادات والاحكام الشرعية التي اشار اليها الكتاب المقدس وجدنا ايضاً اموراً متعدّدة تبدل على تواتر احوال ابراهيم ونسله مع سنن قديما. الكلدان التي دونها حموربي في دستوره المكتشف حديثاً وفي هذا التوافق دليل واضح على ان مؤلف سفر التكوين كان قريباً من عصر اولئك الآباء. حيث لم تجر بعد بينهم سنة مكتوبة بل كانوا يسرون غالباً على مقتضى سنن الكلدان التي ابقوها قبل انتقالهم الى بلاد فلسطين

فمن ذلك ما اخبره صاحب سفر التكوين في الفصل السادس عشر عن سارة زوجة ابراهيم الحليل انها لما رأت ان الله لم يورثها ولداً ادخلت ابراهيم على أمها هاجر ليبنى منها يثماً فولدت اسماعيل . وكذا فعلت راحيل (تك ف ٣٠) مع يعقوب لما دعت الى باهة أمها فولدت له داناً ونفتالي . ومثالها فعلت لينة فأولدت من أمها زلفة جادا وأشير . وهذه العادة لم نعد نرى لها ذكراً في اخبار بني اسرائيل وناهيك بذلك دليلاً على ان ابراهيم وبنيه اتخذوها من شرانغ الكلدان لان ابراهيم كان اقترن بسارة في اور الكلدانيين .

وكذا راحيل ولينة كلتا من حران وهي اذ ذلك تحت حكم البابليين خاصة لسنهم

اماً كون هذه العادة كانت مطابقة للاحكام الكلدان القديما . فذلك ما استنتجته

الاثري الشهير پينشس (M^r Th. Pinches L. L. D.) من عدة آثار بابلية نشرها وفيها وصف العيشة الالهية والمعاملات البيتية واحوال الاحرار والعبيد في بلاد اشور فقرر ان فعل قرانن ابراهيم ويعقوب كان حسب العادات المرعية في ذلك الزمان . ثم ظهر بعد ذلك اثر حموربي فاذا الامر فيه قد لاح باجلى بيان . وفي ذلك بندان من

دستوره هما البند ١٤٤ والبند ١٤٦

(البند ١٤٤) اذا تزوج رجل امرأة وأعطت المرأة زوجها جارية اولدت له اولاداً فلا يتخذن سرية

(البند ١٤٦) . اذا تزوج رجل امرأة وأعطت المرأة زوجها جارية اولدت له اولاداً ثم ارادت تلك الجارية ان تجمل نفسها في مقرة . ولاحاً لأحماً رزقت اولاداً قولحاً لا تبعها بالنفقة بل نسيها بسيرة وتدّها من الاما . (١)

قدى من هذا النص معنى قول سفر التكوين (١٦ : ٣) « ان سارة اعطت هاجر لأبرام رجلاً لتكون له زوجة » وقوله عن هاجر (١٦ : ٤) : « فلما رأيت انها قد حملت هانت مولاتها في عينيها » فكانت هاتين الآيتين متقولتان عن سيرة حموربي بالحرف . ويؤخذ ايضاً منها لاي سبب كانت امرأة الرجل هي التي تختار احدى لمانها كسرية لزوجها حتى اذا ولدت الأمة تكون شاكرة لسيدتها خاضعة لها لا تطلب ان تتعل بمتلة المولاة . وكانت الزوجة لا تختار الأمة لينة الجانب خضعة مطواعاً لاوامرها . اما اذا كانت الأمة بحدوثي تهر وتشيخ باقها فكانت لسيدتها وفقاً للسنة البابلية وسيرة تكسر زهرها وتحفظها في جملة امانها وكذا فعلت سارة التي « اذلت هاجر » كما روى الكتاب (تك ١٦ : ٦) ولذلك « هربت من وجه سيدتها » لكن الملاك اعادها الى بيت ابراهيم وبقيت هناك بصفة أمة لسارة حتى استوجبت ثانية ان تطرد وولدها الى البرية كما ذكر الكتاب (تك ١٦ : ٢١) (٢)

(١) تجد ترجمة هذين البندين في السنة الثالثة عشرة من الهلال (ص ٢٠٩) لكن المرء لم يمن تريبها والصواب كما نروي هنا

(٢) في شريعة حموربي تُقسم النساء البائعات من الزواج اربعة اقسام المرأة الحرة (حرتو) ثم المرأة المثيلة وهي المتحصنة بخدمة الآلهة كما كانت المتبتلات الرومانيات المروفة بالقتال وكن يتقطن عن الزواج الى ان يتجاوزن السن اللائق بالوليد . ثم الأمة او السرية التي كانت تختار الزوجة لرجلها . ثم السرية التي كان يتخذها الرجل لنفسه

فمأ سبق ترى بطلان مزاعم الملحدين الذين يرتأون بأن اسفار العهد القتيق جُمت بعد موسى وهارون في زمن كانت أمة الاسرائيلين جارية على سن مُستحدثة لا تُشعر بشي . من سُن بابل واشور القدية . فليت شعري كيف امكن اولئك الجامعين للاسفار المقدسة ان يودعوا تلك الاسفار اموراً ما كانت لتخطر على بال احد بعد مئتين من السنين . فلا بُدُ اذن من ان يُقال ان كاتب هذه الاسفار اتا دونها لقرب وقوعها من زمانه وليدل بذلك على أنها مبنية على شريعة غير الشريعة المحطاة لموسى اعني الشريعة البابلية . وناهيك به حجة على صحة هذه الاسفار وقدمها

وفي اثر حموربي غير ذلك من الشاهيات المؤيدة لقدم انكتب الترتلة . قفي سفر التكوين (١٠: ٤١) نبوة جلية ليعقوب يقول فيها لابنه يهوذا : « لا يزال صولجان من يهوذا ومشرع من صلبه حتى يأتي شيلو » . فالصولجان هنا رمز عن السلطة والملك . وقد اثبت ذلك اثر حموربي فان في اعلى النُصب الذي اكتشفه السيومودغان فوق انكتابة المتضنة بنود الشريعة صورة اله الشمس وفي يده صولجان الملك والعدل الذي يشير اليه صاحب الزامير (١: ٤١) . وقد حتم حموربي بنود شريعته بجناحة يدعوفها نفسه « الراعي الذي يمنح السلام والذي صولجائه هو العدل الناشر الخير بدلاً من الشر في المدينة » قفي هذا الرمز وفي هذا القول أحسن تفسير لآية يعقوب . لاسيما ان لفظ « صولجان » هي في اللغة البابلية « سَبَطو » كلنظة سفر التكوين ٣٥ (سبط)

ونستفم هذه الفرصة لتريد ملحوظاً جديداً على ما سبق لنا قوله (المشرق ٧٥٤: ٩) في آية جقوق عن شبكة انكلدانيين . فان العلامة بنش قد قل في مجلة الآثار الكتابية (Proceedings of the Soc. of Bibl. Archæology. 1906, p. 292) نشيداً لاکرام نيرينغ اله الحرب عند الاشوريين فمأ يقال في مديح الاله انه « هو المصوب قوسه كسلاح حرب وناشر شبكة قتاله » قفي ذكر الشبكة تأييد جديد لقول النبي جقوق المار ذكره :

